القصيدة الذهبية

والحجة المكية والزورة المحمدية

للعلامة

محمد بن رشيد البغدادى

علق عليها وضبطها

العلامة المحقق الأستاذ الشيخ

حسن محمد المشاط

من كبار علماء الحرم المكى الشريف

[هذه المنظومة الذهبية للعلامة مجد الدين أبى عبد الله محمد أبى بكر الشهير بابن رشيد البغدادى صاحب (الوترية فى مدح خير البرية) المتوفى سنة ٦٦٢ هـ كما ذكره العلامة اسماعيل باشا فى « هداية العارفين فى أسماء المؤلفين » ج ٢ ص ١١٧ والعلامة الفقيه محمد الحطاب المتوفى سنة ٩٥٤ هـ فى حاشيته على مختصر خليل فى الفقه المالكى وله ذكر أيضا فى الجزء الثانى من كشف الظنون فنسبتها إلى العلامة محمد بن اسماعيل الامير المتوفى سنة ١١٨٢ هـ غير صحيحة ، ولعلى ألف على ترجمة مفصلة لابن رشيد رحمه الله]

طبعة ثالثة سنة ١٣٩٠ هـ — (١٩٧٠ م) : بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيا عَذَبَاتِ البان مِنْ أيْمَنِ الحِمَى   رَعى الله عَيْشاً فى رُباكِ قطعناهُ (١)
سَرقناهُ من شَرْخ الشباب وَرَوْقهِ   فلمَّا سَرقنا الصفو مِنه سَرِقناه (٢)
وجَاءت جُيوشُ البَيْنِ يَقدُمها القضاَ   فبَددَ شمْلا بالحجاز نَظمْناهُ (٣)
حَرامٌ بذى الدُّنيا دوامُ اجْتماعِنا   فكم صَرمَتْ للشمل حَبلاً وَصلْناه (٤)
فيا أينَ أيَّامٌ تَولتْ عَلَى الحِمى   ولَيْلٌ مَع العُشاق فِيهِ سَمَرْناهُ (٥)
وَنحْنُ لجيرانِ المحصَّبِ جِيرَةٌ   نوفِّى لهمْ حُسنَ الوِدَاد وَنرْعاهُ (٦)
ونخلو بمن نهوَى إذا رقَد الورى   وَيجلُو عَلينا مَنْ نُحِبُّ مُحَيَّاهُ
فقُرْبٌ وَلا بُعدٌ وشملٌ مجَمَّع   وكأسُ وصَالٍ بَيْننا قدْ أدرناهُ
فهَاتيكَ أيامُ الحياة وغيرُها   بمات فياليتَ النوَى ما شهِدْناهُ
فيا ما أمرَّ البينَ مَا أقتلَ الهوَى   أما يا لَهوَى إنَّ المنا قدْ سُلِبناهُ

---

(١) البان نوع من الشجر ، وعذباته أغصانه اللطيفة قال
مارنحت عذبات البان ريح صبا   وأطرب العيس حادى العيس بالنغم
والحمى لغة المنع يقال أحميته جعلته حمى لايقرب ولا يجترأ عليه والربا بضم الراء جمع ربوة المكان المرتفع

(٢) شرخ الشباب أوله ، وروقة : صفاؤه من راق الماء يروق إذا صفا :

(٣) بدد بتشديد الدال الأولى فرق شملا أى ما اجتمع من الأمر .

(٤) صرمت بفتح الصاد والراء قطعت .

(٥) فيا أين أيام : أى فيا قوم أو فيا هذا أين أيام إلخ فالمنادى محذوف :

(٦) المحصب بفتح الصاد المشددة قال فى النهاية هو الشعب الذى مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى وأيضا موضع الجمار بمنى سميا بذلك للحصى الذى فيهما .

فَو اللهِ لمْ يُبق الفراقُ لذاذةً   فلوْ مِن سَبيل لِلفراق فَرَقناه
فكم من قتيل بَيننَا بسهامِه   فلوْ أننا نُعطَى القِصاصَ قتلناهُ
فأحبابنا ـ بالشَّوقِ ، بالحبِّ بالجوى   لحرمةِ عقد عندنا ماحَللناهُ (١)
لحقِّ هَوَانا فيكُمُ ووِدَادِنا   لميثاقِ عهدٍ صادق ما نقضناهُ
أعيدوا لنا أعيادنا برُبوعكم   وَوَقتَ سُرورٍ فى حماكم قضَينَاه (٢)
فما العيشُ إلا مَا قضَينا عَلَى الحِمى   فذاكَ الذى مِن عُمرنا قد عَدَدناهُ
فيَا ليت عنا أغمضَ البينُ طَرفَه   وَيا ليت وَقتاً لِلفراقِ فقدْناهُ (٣)
وَترجع أيامُ المحصَّبِ مِن منًى   وَيبدو ثرَاهُ لِلعُيون وَحصباهُ
وَتسْرح فِيهِ العِيسُ بين ثُمامةٍ   وتستنشقُ الأروَاحُ نشرَ خُزامَاهُ (٤)
وَنشكو إلى أحبابنا طولَ شوقِنا   إليهم وَماذا بالفراقِ لَقِيناهُ
فلا كانتْ الدنيَا إذَا لم يُعايِنوا   هُم القصدُ فى أولى المشوقِ وأخراهُ
عَليكم سَلامُ اللهِ يا ساكنى الحِمى   بكمْ طابَ ريَّاهُ بكم طاب سُكناه (٥)
وربِّكُمُ لو لا كُمُ ما نودُّه   ولا القلبَ من شوقٍ إليه أذبناه
أسكانَ وادِى المنحنَى زاد وَجدُنا   بمغنَى حِماكمْ ذاك مغنًى شَغفناه (٦)
نحِن إلى تِلكَ الرُبوع تشوُّقا   ففِيهـا لنا عهد وعَقد عقدْناهُ

---

(١) الجوى : الحرقة وشدة الوجد .

(٢) الربوع : جمع ربع محلة القوم ومنزلهم :

(٣) الطرف بفتح الطاء وسكون الراء : العين . قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم »   (٤) العيس : نوع من الإبل والثمام واحده ثمامة : نبت معروف كالخزامى بضم الخاء نبت طيب الريح ، ونشره رائحته   (٥) الريا بتشديد الراء والياء المفتوحتين الريح الطيبة ، ويقال للمرأة . إنها لطيبة الريا إذا كانت عطرة الجسم كما فى القاموس وشرحه .

(٦) المنحنى بضم الميم وفتح الحاء بينهما نون ساكنة : موضع بين مكة ومنى وإلى مكة أقرب ، شغفناه : بفتح الشين والغين المعجمتين بلغ الحب شغاف القلب أى غلافه . قال تعالى (قد شغفها حبا)

وربٍّ بَرانا ما سلوْنا رُبوعَكم   وَما كانَ من رَبْعٍ سواهُ سلوْناهُ(١)
فيَا هلْ إلَى رَبْعِ الاعَاريب عَودةٌ   فذاكَ وحقِّ اللهِ ربْعٌ حَبَبْناهُ
قضينا مع الأحْباب فيه مآربًا   إلى الحشْر لا تُنسَى سَقى الله مَرعاهُ
فشُدُّوا مطايانا إلى الربع ثانيًا   فإنَّ الهوى عن ربْعهم ماثَنَيْناهُ

القصد إلى البيت المعظم والطواف به

فى رَبْعهم للهِ بيْت مبَارَكٌ   إليه قلوب الخلقِ تَهْوِى وَتَهواه
يَطوف بِهِ الجانى فيُغفر ذنبُهُ   ويسقط عنه جُرْمُهُ وخَطايَاه
فكم لذة كم فرْحةٍ لطوافهِ   فَلِله ما أحْلى الطوافَ وأهْناه
نَطوفُ كأنّا فى الجِنَان نطوفُها   وَلا همّ لا غمٌّ فذاك نَفَيْناه
فيا شوقَنا نحوَ الطّواف وطيبِه   فَذَلك شوقٌ لايُحاطُ بمعناه
فمنْ لم يذُقهُ لم يذقْ قطُّ لذةً   فذُقه تذقْ يا صاحِ ما قدْ أذِقْناهُ
فوالله ما نَنسى الحمَى فقُلوبنا   هُناك تركْناهَا فيا كيفَ ننساهُ
تَرى رجعةَ هلْ عودةٌ لطوافِنا   وذَاك الحِمى قبلَ المنيةِ نغشاهُ
ووالله ما نَنسى زمانَ مسيرنا   إليهِ وكلُّ الركبِ قدْ لذَّ مسراه
وقدْ نُسِيَتْ أولادُنا ونِساؤنا   وأموالُنا فالقلبَ عَنهم شغلناهُ
تراءت لنا أعلام وصل على اللِوى   فمنْ أجلِها فالقلب عَنهم لويناهُ
جَعلنا إله العرشِ نُصْب عيوننا   ومَنْ دونهُ خلفَ الظهور نبذناهُ(٢)

---

(١) برانا: خلقنا ومنه البرية يقال. سلوت عنه سلواً من باب نصر صبرت، والسلوة اسم منه وفى المصباح. السلو. طيب نفس الالف عن إلفه

(٢) نصب عيوننا بضم نون نصب وسكون الصاد ولا تفتح أى جعلناه شاهداً لأعيننا: قال فى التاج: منصوبها أى مرئيها رؤية ظاهرة بحيث لا ينسى لا يغفل عنه.

وسِرنا نشقُّ البيد للبلدِ الذِى   بجَهْدٍ وشِقِّ للنفوسِ بَلغناه
رجالاً وركبانا على كلِّ ضامرٍ   ومنْ كلِّ ذى فجٍّ عميقٍ أتَيناه(١)
نخوض إليهِ البرَّ والبحرَ والدُّجى   ولا قاطعٌ إلا وعَنهُ قطَعْناه
ونطوى الفلا من شدةِ الشوق لِلِّقَا   فتمسى الفلا تحكى سِجِلاً قطَعناه
ولا صَدَّنا عنْ قصدنا بُعْدُ أهلنا   ولا هجرُ جار أو حبيبٍ ألِفْناه
وأموالنا مَبذولة ونفوسنا   ولم نبقِ شيئًا مِنهما ما بذلناه
عرفنا الذِى نبغِى ونطلب فَضله   فهان علينا كلُّ شىءٍ بَذلناه
فمن عرف للطلوب هانت شدَائدٌ   عليهِ ويَهوَى كل مافيه يَلقاه
فيا لوْ تَرانا كنتَ تنظر عُصبةً   حيارى سكارَى نحو مكةَ وُلاَّه(٢)
فللهِ كم ليلٍ قطعناهُ بالسُّرَى   وبَرٍّ بسيرِ اليَعْمَلاتِ بريْناه(٣)
وكم من طريقٍ مُفزِعٍ فى مسيرنا   سَلكنا ووَادٍ بالمخوفاتِ جُزْناهُ
ولو قيل إن النار دون مزاركم   دفعنا إليها والعذولَ دفعناه
فمولى للوالى للزيارةِ قد دَعا   أنقعدُ عنها (والمزورُ هو اللهُ)
ترادفت الأشواق واضْرمَ الحشا   فمن ذا له صبر وفى النار أحشاه(٤)
وأسرَى بنا الحادى فأمعن فى السُّرَى   وولّى الكرى نومَ الجفون نفيناه

---

(١) ضامر : مهزول وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك فى أربعين يوما ، الفج بفتح الفاء الطريق الواسع بين الجبلين وجمعه فجاج . (٢) ولاه . بضم الواو وتشديد اللام الممدودة أى هم متحيرون من شدة الوجد من وله يوله كوجل يوجل إذا تحير (٣) اليعملات : بفتح الياء والميم بينهما عين مهملة هى من الإبل الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ولا يقال ذلك إلا للانثى . بريناه قطعنا البر بسير اليعملات وهو بوزن سعيناه ومن بابه :

(٤) الضرام بكسر الضاد اشتعال النار بنحو الحلفاء .

الإحرام من الميقات والتلبية

ولما بدَا ميقاتُ إحرام حجنا   نزلنا به والعِيسَ فيه أنخناه
ليغتسل الحجاج فيه ويُحرِمُوا   فنحن نلبّي ربّنا لا حَرِمْناه
ونادى مناد للحجيج ليُحْرِموا   فلم يبق إلا من أجاب ولبّاه
وجُرِّدت القمصانُ والكلُّ أحرَموا   ولا لُبْسَ لا طِيبٌ جميعا هجرناه
ولا لَهوَ لا صيدٌ ولا نقرَب النِّسا   ولا رَفَثٌ لا فِسقَ كلاًّ رفضناه(١)
وصرنا كأموات لففْنا جسومنا   بأكفاننا كلٌّ ذليلٌ لمولاه
لعل يرى ذُلَّ العباد وكَسْرَهم   فيرحمُهم ربٌّ يُرَجُّونَ رُحماه
ينادونه (لبيكَ لبيك) ذا العُلَى   وسعديكَ كلُّ الشركِ عنك نفَيناهُ
فلو كنتَ ياهذا تشاهِد حالهم   لأبكاكَ ذاكَ الحالُ فى حالِ مَرْآهُ
وجوهُهُمُ غُبْرٌ وشُعْثٌ رؤسُهم   فلا رأسَ إلاّ للإله كشفناه
لبِسْنا درُوعا من خُضوعٍ لربنا   وما كان من دِرع المعاصى خلعناه
وذاكَ قليل فى كثيرِ ذنوبنا   فيا طالما ربَّ العباد عَصيْناه
إلى (زمزم) زُمّتْ ركابُ مَطيِّنا   ونحوَ (الصفا) عِيسَ الوفودِ صففناه(٢)
نؤمُّ (مقاما) للخليل معظَّمًا   إليه استَبَقْنا والركابَ حثثناه
ونحن نلبِّى فى صعود ومَهْبِط   كذا حالُنا فى كل مرقى رقِيناه(٣)

---

(١) ولا رفث من رفث يرفث من باب طلب وكسر المضارع لغة وهو الفحش من القول . قيل فى قوله تعالى (فلا رفث) لاجماع وقيل . لافحش .

(٢) زمت بضم الزاى شدت ركاب الدواب والزمام الخيط الذى فى البرة ثم يشد فى طرفة المقود . والبرة بضم الباء حلقة تجعل فى أنف البعير .

(٣) رقيناه بكسر القاف صعدناه .

وكم نَشَزٍ عالٍ علَتْه وفودُنا   وتعلو به الأصوات حين علوناه (١)
نحجُّ لبيتٍ حجَّه الرسْل قبلَنا   لنشهد نفعا فى الكتاب وُعِدناه
دعانا إليه الله قبل بِنائه   فقلنا له لبيك داعٍ أجبناه
أتيناك لبيناك جئناك ربنا   إليك هربنا والأنامَ تركناه
ووجهَك نبغى أنتَ للقلب قِبلةٌ   إذا ما حججنا أنتَ للحج رُمناه
فما البيتُ ما الأركانُ ما الحِجْرُ ما الصفا   وما زمزمٌ أنتَ الذى قد قصدناه
وأنت مُنانا أنتَ غاية سُؤْلنا   وأنت الذى دُنيا وأخرَى أردناه
إليك شددنا الرحل نخترق الفلاَ   فكم سَدٍّ سَدّ فى سَوادٍ خرَقناه (٢)
كذلك ما زلنا نُواصِل سيرنا   نهاراً وليلا عيسَنا ما أرحْناه
إلى أن بدت إحدى المعالم من مِنى   وهبَّ نسيمٌ بالوصول نَشَقْناه
ونادى بنا حادِى البِشارة والهنا   فهذا الحِمَى هذا ثَراهُ غَشيناه (٣)

الوصول إلى مكة ورؤية البيت المعظم

وما زال وفدُ الله يقصِدُ مكةً   إلى أن بدا البيتُ العتيقُ ورُكناه
فضجَّتْ ضيوف الله بالذكر والدعا   وكبَّرتِ الحجاجُ حين رأيناه
وقد كادت الأرواحُ تزهَق فرحةً   لِمَا نحنُ من عُظْم السرورِ وجدْناه
تصافِحُنا الأملاكُ مَنْ كان راكبا   وتعتَنِقُ الماشى إذا ثَمَّ تلقاه (٤)

---

(١) النشز بفتحتين وبسكون الشين بوزن فلس المكان المرتفع من الأرض والأول يتعين هنا للوزن . (٢) السد بفتح السين قال فى المختار سد الثلمة ونحوها أصلحها وأوثقها والسواد بفتح السين قرى البلدة . (٣) الثرى . وزان الحصى ندى الأرض . (٤) تصافحنا الأملاك . يشير إلى حديث عائشة المرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الملائكة لتصافح ركبان الحاج وتعتنق المشاة) ذكره المحب فى القرى وعزاه لأبى الفرج فى مثير الغرام وعزاه الحافظ السيوطى فى جامعه إلى البيهقى :

طواف القدوم

فطُفنا به سبعا رَمَلْنا ثلاثـةً   وأربعةً مَشياً كما قد أُمِرناه
كذلك طاف الهاشمى (محمـد)   طوافَ قدُومٍ مثلَ ماطاف طفناه
وسالت دموعٌ من غمامٍ جفونِنا   على مامضَى من إثمِ ذنبٍ كسبناه
ونحن ضيوف الله جئنا لبيته   نريد القِرَى نبغى من الله حُسناه
فنادى بنا أهلاً ضيوفى تباشَرُوا   وقَرُّوا عيونا فالحجيجَ قَبِلْناه
غداً تنظرُونى فى جِنانِ خلودكم   وذاك قِراكم مع نعيم ذَخَرْناه
فأىُّ قِرىً يعلو قِراناً لضيفنا   وأىُّ ثواب مثلَ ما قد أثبناه
وكلُّ مسىء قـد أقلنا عِثارَه   ولا وزْرَ إلاَّ عنكُمُ قد وضعناه
ولا نَصَبٌ إلا وعندى جزاؤه   وكلّ الذى أنفقتموه حسَبناه (١)
سأعطيكمُ أضعاف أضعَافِ مثله   فطيبوا نفوسا فضلَنا قد منَحناه
فيا مرحبـا بالقـادمين لبيتنا   إلىّ حَجَجْتم لا لبيت بنيناه
علىّ الجزا مِنِّى للثوبة والرضا   ثوابكمُ يوم الجزاء ضمنّاه
فطيبوا سروراوافرحوا وتباشروا   وتيهوا وهيموا بابَنا قد فتحناه
ولا ذنب إلاّ قد غفرناه عنكمُ   وما كان من عيبٍ عليكمْ ستَرناه
فهذا الذى نِلْنا بيومِ قدُومنا   وأول ضيق للصدور شرحناه

---

(١) نصب . بوزن تعب ومعناه قال فى المصباح نصب نصبا من باب تعب أعيا يشير بهذا البيت وما قبله إلى حديث ابن عمر المرفوع « الحجاج والعمار وفد الله إن سالوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف عليهم والذى نفس أبى القاسم بيده ما أهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من الأشراف إلا هلل ما بين يديه وكبر بتكبيره حتى ينقطع مبلغ التراب قال المحب فى القرى خرجة تمام الرازى فى فوائده وخرجة ابن الجوزى فى مثير الغرام من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال فى آخره . حتى يبلغ منقطع التراب .

المبيت بمنى والمسير إلى عرفة

وبتنا بأرْجاء المحَصَّبِ من منى   فياطيب ليل بالمحصَّب بِتناه
وفى يومنا سِرْنا إلى الجبل الذى   من البُعدِ جئناه لما قد وجدناه(١)
فلا حجَّ إلا أن نكونَ بأرضه   وُقوفا وهذا فى الصحيح رَويناه(٢)
إليه ابتدرنا قاصدين إلهنا   فلولاه ما كنا لِحَجٍّ سلكناه
وسِرنا إليه قاصدين وقوفَنا   عليه ومن كلِّ الجهات أتيناه
عَلَى علمَيْه للوقوف جلالةٌ   فلا زالتا تحمى وتحرس أرْجاه(٣)
وبينهما جُزْنا إليهِ برحمةٍ   فياطيبها ليتَ الزحام رَجَمْناه
ولما رأيناه تعالَى عجيجُنا   نلبي وبالتهليل منا ملأْناه(٤)
وفيه نزلنا بُكرةً بذنوبنا   وما كان من ثُقْل المعاصى حملناه

الوقوف بعرفة

وبعد زوال الشمس كان وقوفُنا   إلى الليل نبكى والدعاء أطَلْناه
فكم حامدٍ كم ذاكر ومسبِّحٍ   وكم مذنبٍ يشكو لمولاه بلواه
فكم خاضعٍ كم خاشع متذلِّلٍ   وكم سائلٍ مُدَّتْ إلى الله كفَّاهُ
وساوى عزيزٌ فى الوقوف ذليلنا   وكم ثوب عِزٍّ فى الوقوف لَبِسْناه
ورَبٌّ دعانا ناظرٌ لخضوعنا   خبيرٌ عليمٌ بالذى قد أردناه

---

(١) هو جبل الرحمة الواقع بعرفة (٢) يشير إلى مافى الحديث الصحيح الحج عرفة.

(٣) بحذف الهمزة للوزن قال فى المختار والرجا مقصور ناحية البئر وحافتاها وكل ناحيته رجا وهما رجوان والجمع ارجاء قال تعالى والملك على أرجائها اه

(٤) تعالى أى تصاعد وارتفع عجيجنا من عج يعج من بابضرب عجاوعجيجا لرفع صوته بالتلبية اه مصباح .

ولما رأى تلك الدموعَ التى جرت   وطولَ خشوعٍ مع خضوعٍ خضعناه
تجلّى علينا بالمتاب وبالرّضا   وباهى بنا الأملاكَ حين وقفناه (١)
وقال انظروا شُعثًا وغُبرًا جسومُهُمْ   أجِرْنا أغِثْنا يا إلهًا دعوناه (٢)
وقد هجروا أموالَهم وديارَهم   وأولادَهم والكلُّ يرفع شكواه
إلىّ فإنى ربُّهـــم ومليكُهم   لِمَنْ يشتكى الملوكُ إلاّ لمولاه
ألاَ فاشهدُوا أنى غفرتُ ذنوبهم   ألا فانسخُوا ما كان عنهم نسخناه
فقد بُدِّلَتْ تلك المساوى محاسنًا   وذلك وعدٌ من لَدُنّا وعدناه
فيا صاحبى مَن مثلُنا فى مقامنا   ومَنْ ذا الذى قد نال ما نحن نِلناه
على (عرفاتٍ) قد وقفنا بموقفٍ   به الذنبُ مغفورٌ وفيه محوْناه
وقد أقبلَ البارى علينا بفضله   وقال أبشِرُوا فالعفوُ فيكم نشرْناه
وعنكم ضَمِنّا كلَّ تابعةٍ جرَت   عليكمْ وأما حقُّنا فوهبناه
أقلنا كُمُ من كل ما قد جنيتُمُ   وما كان من عذر لدينا عذرناه
فيا مَنْ أساء يامن عصَى لو رأيتنا   وأوزارنا ترْمَى ويرحَمُنا اللهُ
ودِدْتَ بأنْ لو كنت بين رحالنا   وترجو — رحمًا — كلنا يترجّاه
وقفنا لديه تائبين من الخطا   وغفرانَنا مِن ربّنا قد طلبناه

---

(١) يشير بذلك إلى حديث أبى هريرة مرفوعا إن الله يباهى باهل عرفات ملائكة السماء فيقول انظرا إلى عبادى هؤلاء جاؤنى شعثا غبراً ذكره فى القرى وقال اخرجه ابن حبان وأخرجه أحمد ولفظه إن الله عز وجل يباهى ملائكته عشية عرفة باهل عرفة فيقول الحديث (٢) بضم الشين وسكون العين جمع أشعث متغير الجسد ومتلبد شعر الرأس لبعد تعهده بالدهن والنظافة وهذا من دواعى استجابة الدعاء وفى الحديث رب أشعث أغبر لو اقسم على الله لأبره اهـ .

أمِرْنا بحسن الظن واللهُ حثّنا   عليه وهذا فى الحديث رَوَيْناه (١)
عليه اتكلنا واطمأنت قلوبُنا   لما عنده من وُسْعِ عفوٍ عرفناه
فطوبى لِمَنْ ذاكَ المقامُ مقامُه   وبشراهُ فى يوم التغابن بشراهُ (٢)
ترى موقفا فيه الخزائنُ فُتِّحَتْ   وَوَالَى علينا اللهُ منها عطاياه
فصالح مهجوراً وقرّب مبعدا   وذاك مقام الصلح للصلح قمناه
ودار علينا الكأس بالفضل والرضا   سُقِينا شرابا مثلَه ما سُقِيناه
فان شئت تُسْقى ما سُقينا على الحِمَى   فخلِّ الوَنَى واقْصِدْ مقاما قصدناه (٣)
وفيه بسطنا للرحيم كفوفنا   فقال كفيتم عفوَنا قد بسطناه
وأعتقنا كلا وأهدر ما مضى   وقال لنا كل العقاب طويناه

ذكر خزى إبليس اللعين وحسرته

فإبليسُ مغموم لكثرة ما يرى   من العتق محقوراً ذليلا ذخرناه
على رأسه يحثو التراب مناديا   بأعوانه ويلاه ذا اليوم ويلاه

---

(١) جثنا أى رغبنا الله على حسن الظن به فى الحديث الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عندي بى وأنا معه حين يذكرنى الحديث وجاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال والذى لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه وذلك بان الخير فى يده رواه الطبرانى موقوفاً قال المنذرى ورواته رواة الصحيح وعن جابر سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه اهـ.

(٢) هو يوم القيامة لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار وهو من باب ضرب قال فى المختار غبنة خدعة وغبن مغبون إذا نقصه وهو غبين أى ضعيف الرأى (٣) الونى الضعف والفتور يقال ونى فى الأمريني ونيا من باب ضرب ضعف.

وأظهر منا حسرةً وندامةً   وكل بناء قد بناه هدمناه
تركناه يبكى بعد ما كان ضاحكا   فكم مذنب من كفه قد سللناه (١)
وكم أمل نلناه يوم وقوفنا   وكم من أسير للمعاصى فككناه
وكم قد رفعنا للإله مطالبا   ولا أحدًا ممن نحب نسيناه
وخصصت الآباء والأهل بالدعا   وكم صاحب دان وناء ذكرناه
كذا فعل الحجاج هاتيك عادة   وما فعل الحجاج فيه فعلناه
وظل إلى وقت الغروب وقوفنا   وقيل ادفعوا فالكل منكم قبلناه

الافاضة من عرفة والمبيت بمزدلفة وذكر الله عند المشعر الحرام

أفيضوا وأنتم حامدون إلهكم   إلى (مشعر) جاء الكتاب بذكراه (٢)
وسيروا إليه واذكروا الله عنده   فسرنا وفى وقت العِشاء نزلناه
وفيه جمعنا مَغربا وعِشَاءها   ترى عائداً جمعا لجمع جمعناه
وبتنا به حتى (لقَطْنا جِمَارَنا)   وربًّا شكرناه على ما هداناه (٣)
ومنه أفضنا حيثُما الناس قبلنا   أفاضوا وغفران الإله طلبناه

نزول منى والرمى والحلق والنحر

ونحوَ (مِنَى) مِلْنا بها كان عيدُنا   ونلنا بها ما القلبُ كان تمنَّاه
فمن منكمُ بالله عيَّد عيدَنا   فعيدُ مِنَى ربّ البرية أعلاه

---

(١) اى نزعناه وأخرجناه من كف ابليس .

(٢) المشعر بفتح الميم واحد المشاعر وهى مواضع المناسك وهو المذكور فى « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » وهو جبل فى المزدلفة روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً .

(٣) لقطنا أى أخذنا من باب نصر ، هداناه : هدانا إليه

وفيه (رَمينا العقابِ جمارَنا)   ولا جُرمَ إلا مع جمار رَميناه(١)
وبالجمرةِ القصوى بَدأنا وعندها   (حلقنا وقصرنا لشعر) حضَرناه(٢)
ولمـا حَلَقنا حل لبس مخيطنا   فيا حلقةً منها للمخيطَ لبسناه
وفيها (نحرنا الهدْى) طوعاً لربّنا   وابليس لمـا أن نحرَنا نحرَناه
ومن بَعدِها يومانِ للرمى عاجلاً   ففيها رَمينا والإله دعوناه
وإياه أرضَينـــا برمىِ جمارِنا   وشيطانَنا المرجومَ ثمّ رَجمناه
وبالخيفِ أعطانا الإله أمانَنا   وأذهب عنا كُل مانحن نخشاه(٣)

النفر من منى وطواف الإفاضة

وَرُدَّتْ إلى البيت الحرام وفودُنا   تحنُّ له كالطيرِ حَنّ لمـأواه
(وطُفنا طوافاً للافاضةِ حولَه)   وفُزنا به بعدَ الجمارِ وزُرْناه

ومِن بعد مازرنا دخلناه دخلة   كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه
ونِلنا أمان اللهِ عِنـد دخولِهِ   كذا أخبر القرآن فيما قرأناه(٤)
فيا منزلاً قد كان أبرك منزلٍ   نزلناه فى الدُنيا وبَيتاً حجَجْناه

---

(١) العقاب بكسر العين جمع عقبة كرقبة ورقاب والعقبة بالتحريك مرقى صعب من الجبال وجمعها عقاب وعقبات وما الطف قول الحافظ ابن حجر حين زار بيت المقدس .

قطعنا فى محبته عقاباً   وما بعد العقاب سوى النعيم اهـ

والجرم بضم الجيم كالجريمة (٢) القصوى كالبعدى وزنا ومعنى لبعد هذه الجمرة عن مسجد الخيف بالنسبة للجمرة الأولى والوسطى .

(٣) الخيف فى الأصل ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء وبه سمى مسجد الخيف بمنى اهـ

(٤) قال الله تعالى (فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)

ترى حجةً أخرى إليهِ ودخلةً   وهذا على ربِّ الورى نتمناه
فإخواننا ما كان أحلى دخولنا   إليه ولُبْثنا فى ذُراه لبِثناه(١)

استلام الحجر الأسود والركن اليمانى فى الطواف

نطوف به والله يحصى طوافنا   ليُسقط عنا مانسينا وأحصاه
(وبالحجَرِ الميمون) عجنا فإنّه   لربّ السما والأرضِ للخلقِ يمناه(٢)
نقبّله من حُبنا لا لمُنــا   وكم لثمةٍ طىّ الطواف لثمناه
وذاكَ لنا يومَ القيامة شاهِدٌ   وفيهِ لنا للهِ عهدٌ عَهِدناه
(ونستلم الركنّ اليمانىّ) طاعةً   ونستغفر المولى إذ ما لَمسناه
وملتزم فيــه التزمنا لربنا   عهوداً وعهدَ الله فيه لزمناه(٣)
وكم موقف فيه يجاب لنا الدعا   دعونا به والقصد فيه نويناه

الصلاة بالمقام والشرب من زمزم والسعى بين الصفا والمروة

وصلّى باركان (المقام) حجيجنا   وفى (زمزم) ماء طهوراً وردناه(٤)
وفيه الشفا فيه بلوغ مرادنا   لما نحن ننويه إذا ما شربناه
(وبين الصفا والمروة الوفد قد سعى)   فإن تمام الحج تكميلُ مسعاه

---

(١) الذرا بالفتح كل ما استذريت به يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره وذرى الشىء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها ا هـ مختار .

(٢) عجنا من عاج بالمكان أقام به وبابه قال يقول .

(٣) الملتزم بفتح الراء هو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود التزمه النبى عليه الصلاة والسلام وهو أحد مواطن إجابة الدعاء (٤) أنظر الاسعاف فقد أفضنا فيه الحديث عن زمزم .

فَسبعاً سَعاها سَيدُ الرُّسْل قَبلنَا   وَنحنُ تَبعناهُ فسبعا سَعيناه
نُهرولُ فى أثنائها كل مرَّةٍ   فَهذاكَ مِن فِعلِ الرَّسولِ فعلناهُ

تمام الحج والتحلل الثانى

وَبَعد تمامِ الحجِّ والنسكِ كلها   حَللنا وَبَاقى عِيسنَا قدْ أنخناهُ
فمنْ شاءوافى الصيدَ والطيبَ والنِّسَا   فقدْ تمّ حج اللالهِ حَججناه
وَلما اعتمرْنا كانَ أبَرَكُ عمرِنا   زَماناً نراهُ باعتمار عَمرناهُ

الدعاء بعد تمام النسك

وَلما قضينا للالهِ مناسكا   ذكرناهُ والمطلوبُ منهُ سألناهُ
فمنْ طالبٍ حَظا بِدْنيا فما له   خلَاَق بأخْرَاه إذا الله لاقاه
وَمِنْ طالبٍ حسنا بدنيَا لِدينهِ   وحُسْنا بأخْرَاه وذاك يُوَقّاه
وآخر لايبغى مِنَ اللهِ حاجة   سوَى نظرة فى وجهه يوْمَ عقباه

طواف الوداع

وبات حجيج الله بالبيت محدِقا   ورحمة رب العرش إذ ذاكَ تغشاه(١)
تَداعَى رِفاقٌ بالرحيلِ فما ترَى   سِوَى دَمْع عَين بالدعاء مزَجناه
لفرقة بيت الله والحجَر الذى   لأجلهما صعبَ الأمور سلكناه
(وودعت الحجاج بيت إلهها)   وكلُّهمُ تجرى من الحزن عيناه

---

(١) محدقا بكسر الدال من أحدق إذا أحاط أى أحاط حجيج الله ببيت الله ويشير لحديث ينزل الله على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين رواه الطبرانى فى معاجيمه والبيهقى فى الشعب والحارثى فى مسنده اه من المقاصد الحسنة للسخاوى .

فلله كم باكٍ وصاحب حسرة   يود بأن الله كان توفّاه
فلَوْ تشهد التوْديعَ يَوْما لِبيتِهِ   فإنّ فِراقَ البَيتِ مُرٌّ وَجدْناه
فما فُرقَةُ الأولادِ وَالله إنه   أمَرُّ وأدْهَى ذاك شيء خَبَرْناه
فمنْ لم يُجرِّبْ ليس يَعرِف قدرَه   فجربْ تجدْ تَصدِيق ماقدذكرناه
لقد صدَعتْ أكبادنا وقلوبنا   لما نحن من مُرِّ الفراق شربناه(١)
والله لولا أن نؤمل عودة   إليه لذقنا الموت حين فجعناهُ

الرحيل إلى طيبة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم

ومن بعد ما طُفْنا طواف وداعنا   رحَلْنا لمغْنى المصطفى ومصلاه(٢)
والله لو أن الأسنة أشرِعت   وقامت حروبٌ دونه ماتركناهُ
ولو أننا نسعى على الروس دونهُ   ومن دونهِ جَفنَ العيون فرشناهُ
وتملَكَ منا بالوصول رقابُنا   ويُسلب منا كلٌّ شيء ملكناهُ
لكان يسيراً فى محبة (أحمد)   وبالروح لو يُشْرَى الوصالُ شريناه(٣)
وربِّ الورى لولا (محمد) لم نكن   (لطَيبة) نسعى والركابَ شدَدناه
ولولاه مااشتقنا العقيقَ ولا قُبا   ولولاه لم نَهْوِ (المدينةَ) لولاه

---

(١) لقد صدعت . تشققت أكبادنا   (٢) المغنى بفتح الميم والنون بينهما غين ساكنة . قال فى المختار مقصور واحد المغانى وهى المواضع التى كان بها أهلوها . وهى هنا مسجده الشريف وروضته الطاهرة ومسكنه حجرات أمهات المؤمنين حيث كان عليه الصلاة والسلام يذهب ويجىء ويصلى ويعبد ربه وجبريل ينزل عليه بالوحي والقرآن والمقصود الأعظم هو النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم .

وما حب الديار شغفن قلبى   ولكن حب من سكن الديارا .

(٣) فى هذا ما يشعر بعظيم محبة رسول الله ﷺ ، تحتم فرضها وعظم خطرها=

هو القصد إن غنّتْ بنجد حُداتُنا   وإلا فما نجدٌ وسَلْعٌ أردناه(١)
وما مكةٌ والخيف قل لى ولامِنًى   وما عرفاتٌ قبل شرع أراناهُ
به شُرِّفت تلك الأماكن كلها   وربُّك قد خصَّ الحبيبَ وأعطاه
(لمسجده) سِرْنا وشُدَّت رحالنا   وبين يديه شوقُنا قد كشفناه
قطعنا إليه كلَّ برٍّ ومَهْمَهٍ   ولا شاغِلٌ إلاَّ وَعَنَّا قطعناه(٢)
كذا عزَماتُ السائرين لِطَيْبةٍ   رعَى الله عزماً للحبيب عزمناهُ
وكم جبل جُزْنا ورملٍ وحاجرٍ   ولله كم وادٍ وشِعْب عبَرْناهُ(٣)
تُرنِّحنا الأشواق نحوَ (محمدٍ)   فنسْرِي ولاندرِي بما قد سرَيناهُ(٤)

==واستحقاقه عليه الصلاة والسلام لها أمر معلوم فى الدين . قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخواتكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) قال القاضى عياض : قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده احب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله : فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ، وتظهر محبته عليه الصلاة والسلام فى متابعته والتمسك بهديه النبوى والدعوة إليه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) الآية .

(١) فانه المحبوب الأعظم على الولد والوالد بل وعلى النفس والروح فداه روحي. وثبت عن عمر أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلى من كل شىء إلا نفسى التى بين جنبى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر .

(٢) المهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر . قال شيخنا من لطائفهم أنهم قالوا سميت بذلك للخوف فيها فكل واحد يقول لصاحبه مه مه اهـ تاج العروس .

(٣) الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها منخفض .

(٤) ترنحنا أى تميل بنا الأشواق سروراً وطرباً نحو محمد عليه الصلاة والسلام

ولمّا بدا (جزْعُ العقيق) رأيْنَا   نشاوى سَكارى فارحين برؤياهُ(١)
شمَمنا نسيما جاء من نحو (طَيْبَةٍ)   فأهلا وسهلا بِانسيما شمَمناهُ(٢)
فقدْ ملئتْ منا القلوبُ مسرّةً   وأىٌّ سرورٍ مثلَ ماقدْ سُرِرْناهُ
فوَاعجباهُ كيفَ قَرّتْ عيونُنا   وقدْ أيقنتْ أنّ الحبيبَ أتيناهُ
ولقياهُ مِنّا بَعدَ بُعْدٍ تقاربت   فوالله لا لُقيا تعادلُ لقياهُ
وَصلنا إليهِ واتصلنا بقُرْبهِ   فللهِ ما أحْلى وُصولا وَصلناهُ

التسليم على الحبيب ﷺ وصاحبيه

وقفنَا وسلمنا عليهِ وإنهُ   لَيسمعُنا منْ غيرِ شك فَدَيناهُ(٣)
وردّ علينا بالسلامِ سلامَنا   وقدْ زَادنا فوقَ الذِى قد بدأناهُ
كذا كان خُلْقُ المصطفى وصفاتهُ   بذلك فى الكتبِ الصّحاحِ عرفناهُ
وثَم دَعونا للأحبةِ كلهم   فكم من حبيبٍ بالدعا قد خصصناهُ

---

(١) جزع الوادى بكسر الجيم منعطفه والعقيق واد من أودية المدينة المنورة فيه عيون ونخيل . وفى الصحيح قال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق أتانى الليلة جبريل فقال صل فى هذا الوادى المبارك ولابن شبة عن عمر مرفوعاً العقيق واد مبارك ، والنشوة السكر جمع نشوان بوزنه وبمعناه ا هـ

(٢) هذا كقول الآخر .

رياح الصباهبى بقبر محمد   وبقى علينا الطيب من ذلك القبر

وعلى كل فقد صدق القائل .

وعلى تفتن واصفيه بمدحه   يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(٣) جاء عنه صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائياً أبلغته — رواه البيهقى فى الشعب وقد ذكر الإمام ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم أن الشهداء بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوا به وردوا عليه السلام ونقله عنه السيد السمهودى فى وفاء الوفاء وهذا فى سيد المسلمين بل والمرسلين أولى من آحادهم ا هـ .

ومِلنا لتسليم (الامامَين) عندهُ   فإنهما حقـاً هُنـاك ضجيعاهُ(١)
وكم قدْ مشينا فى مكانٍ به مشَى   وكمْ مدْخلٍ للهاشمِىِّ دخلناهُ
وآثارُهُ فيها العيونُ تمتعتْ   وقمنـا وصلينا بحَيثُ مصلاهُ
وكمْ قدْ نشرنا شوقنا لحبيبنا   وكمْ منْ غليلٍ فى القلوبِ شفيناهُ(٢)
(ومسجِدُه) فيهِ سجدْنا لربِّنا   فللهِ ما أغلى سجوداً سجدناهُ
(بروضتهِ) قمْنا فهاتيكَ جَنة   فيَافوزَ من فيهَا يصَلى وبشرَاه(٣)
(ومِنبره) الميْمون مِنـه بَقية   وقَفنا عَليها والفؤادَ كرَرْناه
كذلك مثل الجذع حنت قلوبنا   إليهِ كما وَد الحبيْبَ وَدَدْناه(٤)

---

(١) هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فانهما صاحباه قديماً بمكة والمدينة وفى الحضر وفى السفر وفى البرزخ فهما حقاً ضجيعاه .

(٢) الغليل كالغلة حرارة العطش .

(٣) هى ما بين بيته ومنبره الشريف بالمسجد الحالى الحنيف وقد ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن زيد ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة وللبخارى عن أبى هريرة مثله حمل الإمام مالك ذلك على ظاهره فقال إنها روضة من رياض الجنة تنقل إليها وليست كسائر الأرض تذهب وتفنى ووافقه على ذلك جماعة من العلماء ذكر هذا العلامة السيد السمهودى فى الخلاصة وأيد ذلك بنقول من أهل العلم فانظرها

(٤) يعنى بالجذع الجذع من النخل الذى كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخطب عنـده وفى الصحيح كان المسجد مسقوفاً على جذوع من النخل فـكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر فـكان عليه . سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وللنسائى اضطربت تلك السارية فحنت كحنين الناقة الخلوج أى التى انتزع ولدها ولأحمد وابن ماجه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق كان الحسن إذا حدث بحديث الجذع بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه لمـكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه وحديث الجذع قال القاضى عياض مشهور والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر رجلا

وزرْنا (قُبَا) حبًّا لأحمدَ إذ مَشى   عَسى قَدماً نخطو مقاماً تخطّاه(١)
لِنُبْعثَ يومْ البعْثْ تحْت لوائه   إذا الله منْ تلك الأمَاكن نادَاه

وزرْنا مَزارتٍ (البقيع) فليْتنا   هناك دُفِنّا والمماتَ رزقْناه
(وحمزة) زرْناه ومَنْ كان حوْله   شهيداً (وأحْداً) بالعيون شهدْناه
وَلما بلغنا منْ زِيارةِ (أحمد)   منانا حَمِدنا ربَّنا وَشكرناه

ومن بعد هذا صاح بالبَيْنِ صائحٌ   وقال ارحلوا ياليتنا ما أطعناه
سمعنا له صوتاً بتشتيت شملنا   فيا ما أمَرَّ الصوتَ حين سمعناه
وقمنا نؤمُّ (المصطفى) لِوداعِه   ولا دمعَ إلاّ للوداعِ صببناه
ولا صبرَ كيف الصبرُ عند فراقِه   وهيهات إن الصبرَ عنه صرفناه
أيصبر ذو عقْل لفرقة (أحمدٍ)   فلا والذى من قابِ قوسين أدناه
فواحسرتاه من وداع (محمد)   وأوّاه من يوم التفرق أوّاهُ
سأبكى عليه قدرَ جهُدِى بناظرٍ   من الشوق ما ترقَى من الدمع غرْباه(٢)
فيا وقت توديعى له ما أمرّهُ   ووقتَ اللقا والله ما كان أحلاه
عسى الله يدنينى لأحمدَ ثانيا   فيا حبذا قربُ الحبيب ومَدْناه

---

(١) هو المسجد الذى أسس على التقوى على ميلين من المدينة المنورة نزل قربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم من الهجرة ومكث عنده قبل أن يدخل المدينة بضعة عشر يوما وكان يزوره ويصلى فيه تارة ماشياً وتارة راكباً وندب إليه فقال عليه الصلاة والسلام من تطهر فى بيته ثم آتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وبقباء بئر أريس أحد الآبار السبعة المأثورة بالمدينة المنورة .

(٢) رقأ الدمع سكن ، والغرب الفتح الغين المعجمة الدمع حين يخرج من العين يقال فى التثنية غربان وفى الجمع غروب اه

فيا رب فارزقنى لمغنـاه عودة   تضاعِفْ لنا فيه الثواب ورضاه
رحَلْنا وخلّفنا لديه قلوبَنـا   فـكم جسدٌ من غير قلب قابلناه
ولمـا تركنا ربعه من ورائنا   فلا ناظر إلا إليـه ردَدْنـاه
لنغنم منه نظرة بعـد نظرة   فلما أغبنـاه السرورَ أغبناهُ(١)
فلا عيشَ يهنى مع فراق (محمد)   أأفقِدُ محبوبى وعيشى أهناه
دعونى أمُتْ شوقا إليه وحُرقة   وخُطُّوا على قبرى بأنّىَ أهواه
فياصاحبى هذى التى بىَ قد جرت   وهذا الذى فى حجنا قد عملناه
فإن كنت مشتاقا فبادر إلى الحمى   لتنظر آثار (الحبيب) وممشاه
وتحظى ببيت الله من قبل منعه   كأنا به عمـا قليل مُنِعْنـاه
أليس ترى الأشراط كيف تتابعت   فبادره واغنمه كما قد غنمناه(٢)
إلى (عرفات) عاجِلِ العمرَ واستَبِقْ   فثَمَّ إله الخلق يسبغُ نَعماهُ
وعَيِّدْ مع الحجاج باصاح فى (مِنَى)   فعيد مِنى أغْلاه عيداً وأسناه
وَضحِّ بها واحلق وسِرْ متوجهاً   إلى (البيت) واصنَعْ مثل ماصنعناه
وكن صابراً إنا لقينـا مشقة   فإن تلقها فاصبر كصبر صبرناه
لقـد بعدت تلك المعالم والربى   فـكم من رواح مع غُدُوٍّ غدوناه(٤)
فبـادر إليهـا لاتـكن متوانيا   لعلك تحظى بالذى قـد حظِيناه
وحجٌّ بمال من حلال عرفته   وإياك والمال الحرام وإياه
فمن كان بالمـال المحرَّم حجُّه   فمن حجه والله ما كان أغناه
إذا هو لبى الله كان جوابه   من الله لا لبيك حجٌّ رددناه

---

(١) السرور بالنصب معمول لفعل محذوف يفسره أغبناه أى أغبنا السرور لمـا اغبناه .

(٢) الاشراط علامات الساعة والقيامة .

(٣) الرواح العشى أو الوقت من زوال الشمس إلى الليل . والغدو البكرة .

كذلك جانا فى الحديث مسطراً   ففى الحج أمر وافر قد سمعناه
ومن بعد حج سر (لمسجد أحمد)   ولا تَخْطَهُ تندم إذا ما تخطّاه
فوا أسفا السارى إذا ذكر الحمى   إذا ربع خير المرسلين تخطّاه
ووالهفَ الآتى بحج وعمرة   إذا لم يكمِّلْ بالزيارة ممشاه
يُعزّى على ما فاته من مزاره   فقد فاته أجر كثير بأخراه
نظرناه حقا حين بات ركابنا   على طيبة حقاً وصدقاً نظرناه
وزادت بنا الأشواق عند دُنُونا   إليها نما أحلى دنواً دنيناه
ولما بدت أعلامها وطلولها   تحدرت الركبان عما ركبناه(١)
وسرنا مشاةً رفعةً (لمحمدٍ)   حثثنا الخُطى حتى المصلى دخلناهُ
لنغنم تضعيف الثواب بمسجدٍ   صلاةُ الفتى فيه بألفٍ يُوَفّاهُ
كذلك فاغنم فى زيارة طيبة   كما قدْ فعلنا واغتنمْ ما غنمناه
فإذْ ما رأيت القبرَ قبر (محمدٍ)   فلا تدن منه ذاك أولى لعلياه
وقف بوقار عنده وسكينة   ومَثل رسول الله حيا بمثواه
(وسلم عليه والوزيرينِ عنده)   وزره كما زرنا لتحمد عقباه
بلِّغه عنا لاعدمتَ سلامنا   فأنت رسولٌ للرسولِ بعثناه
ومن كانَ منا مُبلغا لسلامنا   فإنا بمبلاغِ السلامِ سبقناه
فيا نعمة للهِ لسنا بشكرِها   نقوم ولو ماء البحور مددناه
فنحمد ربَّ العرشِ إذ كان حجُّنا   بزورةِ من كان الختامَ ختمناه
عليك سلام الله ما دامت السما   سلام كما يبغى الإله ويرضاه

---

(١) الطلول كالاطلال جمع طال ما شخص من آثار الديار وتحدرت من تحدر الدمع تنزل أى نزلت الركبان عن المراكب وساروا مشاة كما أنشد بعضهم لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ونزل بها وترجل .

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا   فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة   لمن بان عنه أن نلم به ركبا

قال القاضى عياض فى الشفاء وحكى عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال العبد الآبق يأتى إلى بيت مولاه راكبا ؟؟ لو قدرت أن أمشى على رأسى ما مشيت على قدمىّ :

خاتمة

ولنختم هذا التعليق البسيط بكلمة بليغة للقاضى عياض فى الشفاء، قال رحمه الله «وجدير» لمواطن عمِّرت بالوحى والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح ، وعجّت عَرَصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر ، مدارس آيات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ، ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ، ومواطن طويت فيها الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها ، «أن تعظّم» عرصاتها وتُتنسم نفحاتها وتُقبّل ربوعها وجدرانها .

يا دار خير المرسلين ومن به   هدِى الأنام وخص بالآيات
عندى لأجلك لَوعة وصبابة   وتشوُّق متوقّد الجمَرات
وعلىّ عهدٌ إن ملأت محاجرِى   من تلكم الجُدُرات والعرَصات
لأعفرَنّ مصونَ شيبى بينها   من كثرة التقبيل والرّشفات
لولا العوادِى والأعادِى زُرتها   أبداً ولو سَحْباً على الوجَنات
لكن سأهدِى من حفيلِ تحيّتى   لِقَطينِ تلك الدار والحُجُرات
أزكى من المسك المفتّقِ نفحة   تغشاه بالآصال والبُكُرات
وتخصه بزواكىَ الصلوات   ونوامِىَ التسليم والبركات

(اللهم) صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد وعلينا معهم وبلغنا فى الدارين الرضا والمزيد وازرع فى قلوبنا محبتك حتى نعرفك حق معرفتك واختم لنا منك بخاتمة السعادة التى ختمت بها لأوليائك وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، واجمعنا بهم فى دار كرامتك مع سائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وأغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأصحابنا وذرياتنا ما تقدم وما تاخر انك على كل شيء قدير .

تم بخير يوم الاثنين الموافق ٧ صفر الخير من سنة ١٣٧٩ هـ

والحمد لله رب العالمين